الباب السابع

ملوك الطوائف

الفصل الأول

انتهز حكام الأقاليم بالأندلس فرصة الهياج والثورة فى قرطبة وأعلنوا استقلالهم وتمام انفصالهم عن جسم الخلافة الاموية ، وأقاموا لانفسهم امارات مستقلة ، وأصبحوا ملوكا مستقلين فيها ، كل له عرشه و بلاطه وجنده وشعراؤه ، و بذلك تمزق ملك العرب باندلس ، وانقسمت البلاد إلى دو يلات صغيرة تسودها الفتن والمشاغبات الداخلية ، وتغلى مراجلها مما تحويه من تحاسد وتنافس بين الكبراء من أهلها ، وماتضمره من من عداوة لبعضها البعض ، فكان من نتائج ذلك أن اضمحلت القوة الاسلامية ، وسارت إلى الانحلال ، وانتهز امراء الاسبان النصارى هذه الفوضى السياسية والضعف العسكرى فشمروا عن ساعد الجد ، ونهضوا لاسترداد ملكهم الضائع ، وشجعوا الفتنة والانقسام ، وحالفوا الضعيف ضد القوى حتى أضعفوا القوى ثم هاجموا الاثنين وانتزعوا منهما الأملاك ، واسترجعوا المدن الواحدة تلو الأخرى .

عرف هؤلاء الولاة والحكام بملوك الطوائف ، واشتهروا جميعا بحبهم للعلم ، وتشجيعهم للآداب والثقافة العامة ، وقد تنافسوا فى احياء العلوم تنافسا عظيما . فتقدمت العلوم فى عهدهم تقدما كبيرا ، وانبعث الفنون ، وازدهرت المدن بآيات

الفن ، وغصت المكاتب بمختلف الكتب القيمة فكان لانفراط ملك بنى أمية فى الأندلس أثره الحميد فى تاريخ النهضة العلمية فيها ، ولو تضافر هؤلاء الملوك الأمراء واتحدت كلمتهم سياسيا كما اتحدت من الوجهة الفكرية لاستطاعوا رد غارات النصارى ، وحفظوا للاسلام ملكة فى تلك الأصقاع ، ولكنهم للأسف تفرقواشيعا وأحزابا كما قدمنا ، وتطاحنت قواتهم ضد بعضها البعض ، ولجأ الكل الى نصارى الشمال يستعديهم على بنى قومه ، ولا يجد غضاضة فى الدخول فى ذمارهم وحمايتهم ليستنصر بهم فى الكيد لجاره ، هذا وقد اشتهر من هذه الامارات مايأتى :

أولا — أمارات الصقالبة بالجهات الشرقية وقام بالأمر فيها خيران العامرى ثم زهير فى المرية ، أما الجزر التى كانت تتبع الاندلس فى البحر الأبيض المتوسط فقد استولى عليها مجاهد بن عبدالله العامرى أحد موالى الحاجب المنصور ، وكان يسمى أبا الجيوش لامتيازه بالشجاعة الحربية والاقدام النادر ، وكان بارعا فى الملاحة ، واستطاع تكوين أسطول عظيم أغار به على شواطىء فرنسا وايطاليا ، وسيطر على البحار ، وأدخل الرعب فى قلوب المسيحيين وقطع الطرق على تجارهم وملاحيهم حتى أطلق عليه دوزى « شيخ قرصان البحار فى عصره » ، وقد اشتهر بنصرته للعلم والعلماء ، وامتلك فريق آخر من هؤلاء الصقالبة بلنسية وما جاورها من الاقاليم وظلوا بها حتى استخلصها منهم عبد العزيز بن سانكول عبد الرحمن ابن الحاجب المنصور

ثانياً — استولى بنوحمود على مالقة والجزيرة الخضراء وماجاورها من القرى والبلدان ، واتخذوا لأنفسهم لقب أمير المؤمنين وقد ظلوا سادة تلك الجهات

حتى أدركهم الضعف بسبب تنازعهم الأمر فيما بينهم فاغار ملك غرناطة على أملاكهم وانتزعها منهم عام ١٠٥٧ م

ثالثا — غرناطة وقد استولى عليها أمير من أمراء البربر يسمى زاوى وقد خلفه فى الحكم أبن أخيه المسمى حبوس ، وقد ظلت هذه الاسرة تحكم البلاد حتى أخذها بنو الاحمر فى سنة ١٠٩٠ م مما سنفصله فى مكان آخر

رابعا — حكم الامير يعيش طليطلة وظل يحكمها حتى عام ١٠٣٦ م حين استولى عليها ابن ذى النون من أمراء البربر المشهورين ، وقد اشتهرت أسرة ذى النون بكرمها وجزيل عطاياها ، وقد استمر حكمها فى تلك الجهات حتى تغلب عليها النصارى فى عهد الفونس السادس ملك ليون وقشتالة عام ١٠٨٥ م بعد حروب دموية طاحنة

خامسا — سرقسطة وما حولها وقد استولى عليها بنو هود ويرجع نسبهم إلى أحد قواد عبد الرحمن الناصر المسمى محمد بن هشام التميمى ، وقد ظل بنو هود يحكمون تلك الجهات ويردون غارات النصارى ، ويكافحون فى سبيل المحافظة على استقلالهم وبقاء كيانهم حتى غلبوا على أمرهم وزال ملكهم على يد النصارى عام ١١١٨ م .

سادساً — استولى حكام محليون على باقى المدن فى الاندلس العربية ، وأعلنوا استقلالهم ، وظلوا يتطاحنون ويكافحون النصارى فى حروب دموية دامت نحو قرنين من الزمن ، وأخيرا غلبوا على أمرهم ، وسلموا مدنهم الواحدة بعد الاخرى لحكام ليون وقشتالة من النصارى ، واليك بعض البيان عما حدث فى قرطبة وأشبيلية وغرب الاندلس .

الفونس السادس وملوك الطوائف :

لم يكن الفونسوا يضيع وقته سدى فى سفاسف الامور اثناء ذلك ، بل عمل على ضم الاقطار المسيحية تحت حكمه ، حتى اصبح امبراطورا على ليون وقشتالة وجليقية ونافارا ، وحانت ساعة فتحه بقية شبه الجزيرة كلها ، على أنه لم يتعجل الحوادث ، وأخذ يعتصر أموال المسلمين ، ويستنزف ثروتهم على مهل بما فرضه من جزيه عليهم ، وأخيرا أتم عدته ، فشرع فى فتوحاته وأعلن على المسلمين حربا صليبية لا تعرف صلحا ولا هوادة ، فغزا طليطلة عام ١٠٨٠ م لأن أهلها طردوا أميرهم ، فلجأ إلى الفونس ووعده بدفع جزية كبيرة، وتسليم حصون معينة نظير إعادته إلى عرش الامارة ، واستمرت الحرب عامين ، وفى أثنائهما أرسل الفونس رسله إلى أشبيلية يطلب الجزية ، فحملها الوزير أبو بكر بن زيدون إلى شليب اليهودى أحد رسل الفونس، فوجد هذا أن النقود مزيفة لعجز المعتمد عن جمع المبلغ المطلوب، ولذا رفض قبولها ، وقال إنى أطلب ذهبا خالصا هذه السنة ، وفى السنة القادمة أطلب اليكم تسليم المدن ، فلما بلغ المعتمد قوله هذا غضب غضبا شديدا ، وأمر باحضار رسل الفونس ومن بينهم شليب ، ولما حضروا أمر بصلب شليب وسجن بقية الرسل ، ولما رأى اليهودى ما سيحل به ارتعدت فرائصه وطلب الرحمة ، وعرض أن يدفع ثقله ذهبا تكفيرا عن ذنبه ، فابى المعتمد وقال والله لو اعطيتنى كل بلاد الأندلس وأفريقية ما قبلته

ولما علم الفونس بما حدث ثارت ثائرته ، وحلف بالثالوث أنه لا بد منتقم من العدو انتقاما مريعا ، ومكتسح ديار المسلمين حتى جبل طارق ، واضطر أن يسلم حصنا من الحصون للمعتمد نظير اطلاق سراح بقية الرسل ، ولما تم له ذلك سار لفوره إلى أشبيلية وحاصرها ، وخرب ودمر شيدونه ، وقتل كل

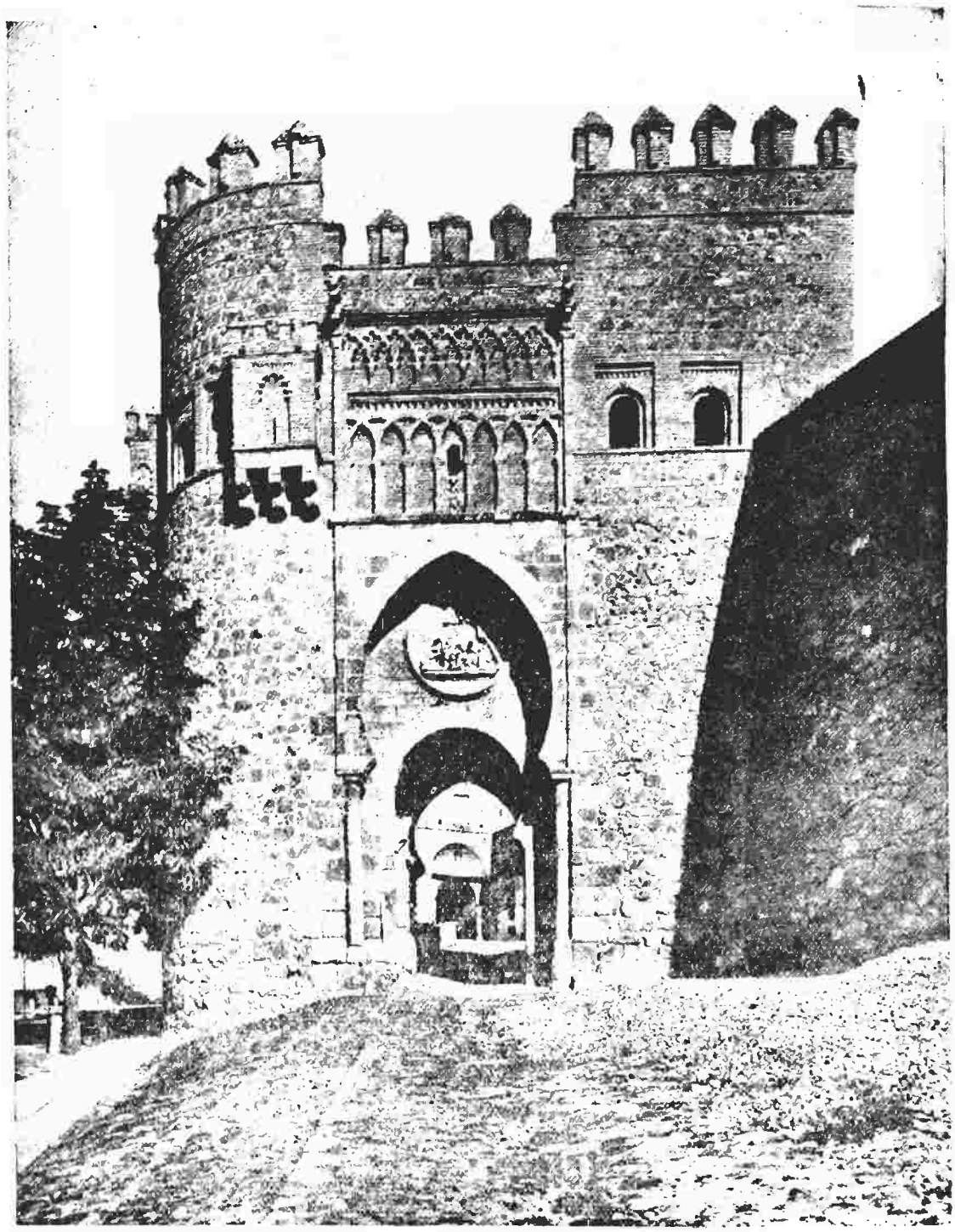

أحد أبواب مدينة طليطله

مسلم قابله وأسر من لم يقتل وواصل سيره حتى وصل إلى جبل طارق و بر بقسمه الذى أقسمه ، ثم عاد إلى ظليطلة سنة ١٠٨٢ م ، وابتز من أميرها أموالا طائلة حتى أتى على آخر درهم عنده، وانتزع منه حصونا كثيرة ، وخرب ضواحى طليطله ثم دخلها بعد أن سلمها أميرها عجزا منه عن الدفاع عنها عام ١٠٨٥ م ، و بدخولها ازداد الفونس صلفا وطغيانا على المسلمين استضعافا لشأنهم واستهتاراً بهم و بلغت المذلة بامراء المسلمين أن أسرعوا جميعا لتهنئته بدخول أمنع مدنهم وأخذ الكل يتزلف له بارسال الهدايا والاعتراف بأنهم ماهم إلا جباة له ، فاصبح الفونس يلقب نفسه بملك المسيحيين والمسلمين

وأتى دور بلنسية فاستولى عليها الفونس ، وحاصر سرقسطة وغزا المرية وغرناطة ، فعم اليأس ديار الاسلام ، وحل الرعب فى قلوب المسلمين ، وفى هذا الموقف الحرج والظرف العصيب رأى أمراء الاندلس أن يستنجدوا بالمرابطين الذين كانوا قد أقاموا دولة قوية فى بلاد البربر بافريقية فاوفدوا إلى يوسف بن تاشفين أمير المسلمين وفدا من قضاة قرطبة و بطليوس وغرناطة ومعهم الوزير أبو بكر بن زيدون يدعونه لانقاذ بلاد المسلمين من خطر المسيحيين